مراجعة الكتب

جغرافية الإسلام البشريّة حتّى منتصف القرن الحادي عشر

تأليف أندريه ميكيل – ترجمة إبراهيم خوري
الجزء الرابع: الأقسام ١-٢-٣
مجلّدان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥، ٦٦٢ + ٥٠ صفحة

أصدر الأستاذ إبراهيم خوري في العامين ١٩٩٢ و١٩٩٣ ترجمة الجزء الثالث من هذا الكتاب (أطلب المشرق ١٩٩٤، ص ٢٥١). وها هو الآن يتابع عمله المشكور فيقدّم إلى القرّاء والباحثين العرب الجزء الرابع والأخير من موسوعة العلّامة أندريه ميكيل الجغرافيّة. وهذا الجزء خاصّ بدار الإسلام بوصفها كلًّا متماسكًا في ما لها من طُرق وتجارة ونَقْد ومبادلات ومدن وعمران ومجتمع وأخلاق. وكُتُب ميكيل غنيّة عن التعريف، تعالج العالم الإسلاميّ في سائر أبعاده ممتدّة على حوالى ثلاثة قرون. أمّا المترجم فهو من أشهر المختصّين بالجغرافيّين العرب، ممّا يتيح له إبراز دقائق الأمور بما أُوتي من سعة معرفة وخبرة. يضاف إلى ذلك تمكّنه من اللغة الأصليّة – الفرنسيّة – ولغة الضاد، فجاءت ترجمته دقيقة سلسة يرتاح لها القرّاء. ومن حسنات هذا الكتاب أيضًا ما أُلحق به من فهارس، يناهز عددها الثمانية.

إلّا أننا نأسف في الختام على أنّ الطباعة لم تكن في مستوى مضمون الكتاب، خاصّةً بسبب شفافيّة الورق. وثمّة بعض الأغلاط، القليلة جدًّا، في عدد من المراجع الأجنبيّة (ص ٥٨٩: sna' alto والصحيح sna' alto؛ ص ٥٩٢ Palästina - Veriens والصحيح Palästina - Vereins) كما أننا نتساءل لماذا لم تُضبط أرقام الصفحات وتوحَّد؟ فإنّها جُعلت مبدئيًّا متسلسلةً بين المجلّدين ومكتوبة «بالعربيّة»، وإذا بهذا التسلسل يُخترَق فتخلّله صفحة من الفهارس مرقّمة «بالأجنبيّة».

ومهما يكن من أمر هذه النقائص الطفيفة، فالكتاب جدّ مفيد يشرّف واضعه وناقله على حدّ سواء.

أ. ك. حشيمه

لبنان في أرشيف إسطنبول

تأليف الدكتور عصام خليفة، بيروت، ١٩٩٦، ١٦٠ صفحة

المؤلّف من المؤرّخين القليلين الذين اكتشفوا عمليًّا ضخامة الأرشيف العثمانيّ وأهمّيّة مضامينه لتجديد كتابة تاريخ لبنان. وقد أحصى الدفاتر والإضبارات التي تحويها مستودعات وخزائن دُور المحفوظات في إسطنبول، فقدّر عددها ببضعة آلاف تضمّ ملايين من الوثائق الفرديّة. ولقد تمكّن، بصبر طويل وعناء، من تصوير القسم القليل منها وباشر

تحليلها. تكانت باكورة عمله كتيّب ظهر العام الماضي، أبحاث في تاريخ شماليّ لبنان في العهد العثمانيّ، عرّفنا إيّاه في مجلّة المشرق ٦٦ (١٩٩٥) صفحة ٤٨٧، متمنّين أن يتحفنا المؤلّف بالأجزاء التابعة من دون إبطاء.

وها نحن نقدّم اليوم تعريفًا مقتضبًا من الجزء الثاني، لبنان في أرشيف إسطنبول. صدّره المصنّف بدراسة عن الأرشيف العثمانيّ، ذاكرًا الأهمّيّة التي كان يوليها الأتراك المحفوظات. وقد عرفت إداراتهم، اختبارًا، «أنّ الأرشيف هو حقل الإدارة». ثمّ أحصى المراكز التي تحفظ تلك الوثائق وعددها ١٥ (ص ١-٧). ثمّ تكلّم على الوثائق العائدة إلى متصرّفيّة جبل لبنان (ص ٧-١٣) وانتقل إلى دفاتر الدفترخانة، المتعلّقة بلبنان، ذاكرًا ما تحويه من موضوعات في الجغرافيا والاقتصاد والملكيّة والزراعة والنواحي الاجتماعيّة والهندسيّة والثقافيّة (ص ١٤-١٦). وقد أفرد لأرشيف رئاسة الوزراء قسمًا خاصًا استهلّه بملحق في غاية الأهمّيّة هو جدول «دفاتر الطابو الموجودة في هذه الخزانة والمتعلّقة بالمناطق اللبنانيّة» (ص ١٧-٥٨)، وهي لائحة مفصّلة يذكر فيها رقم الدفتر وتاريخه وعدد صفحاته وبعض المعلومات عن مضمونه. وهو بالواقع أوّل «كاتالوج» يوفّر لنا فكرة شاملة عن هذه المراجع الفريدة. وتنتهي الدراسة بتعداد المعلومات الأساسيّة الدقيقة بين طيّات هذه الدفاتر (ص ٥٨-٦٨) وبمشروع توصيات لتعزيز الأرشيف اللبنانيّ (٦٨-٧٢).

أمّا البحث الثاني فهو دراسة «في الديموغرافيّة التاريخيّة لناحية الزاوية في القرن السادس عشر»، انطلاقًا من الدفاتر العائدة إلى السنتين ١٥١٩ و١٥٧١، (لا سيّما دفتر الإحصاء رقم ٦٨ ودفتر الإحصاء رقم ٥١٣)، وهي المدخل في الإطار الجغرافيّ في أسماء القرى وانتماء سكّانها الدينيّ، فتحقّق عراقة العيش المشترك، ثمّ حركة نموّ المجموعات الطائفيّة أو تقلّصها، مع لمحة في الكثافة السكّانيّة. وقد أسهب المؤلّف في ذكر بعض الأحكام الخاصّة بقرى كفرحورا (ص ٨٤) وزغرتا (ص ٨٦)، وحجم القرى ونسبة نموّها بين الإحصائين (ص ٩٢-٩٦)، ونسبة العازبين والمتزوّجين (ص ٩٧) وملاحظات في ديموغرافيّة الزاوية بين الإحصائين (ص ٩٩-١٠٩). وفي الختام خريطتان لقرى الزاوية سنة ١٥١٩ و١٥٧١ وتسعة جداول وأنموذج لصفحة من الدفاتر العثمانيّة.

وجاء البحث الثالث «الديموغرافيّة التاريخيّة لطرابلس في القرن السادس عشر» (ص ١٣٠-١٦٠) تكملةً للكتاب الصادر سنة ١٩٩٥، أبحاث في تاريخ شماليّ لبنان في العهد العثمانيّ، تزيده فائدةً خريطة لأحياء طرابلس وبرّاياتها المدينة وخمسة عشر جدولًا أو ملحقًا، وأنموذج من طابو دفتري ٦٨ يُبرز بوضوح صعوبة قراءة هذه المصادر العثمانيّة النفيسة. تنطلق الدراسة من تحديد طرابلس الإداريّ يليها انتماء السكّان الدينيّ وتطوّره بالعودة إلى الأرقام الواردة في إحصائي ١٥١٩ و١٥٧١، وعدد الذكور زيادةً أو نقصانًا، في أحياء المدينة وبعض نواحي شمال لبنان، ممّا يُستنتج عن بداية حركة نزوح بطيئة من الأرياف باتّجاه المدينة التي كانت من المرافئ المهمّة، (ص ١٣٦-١٤٠). وقد سجّلت دفاتر الطابو زيادةً في سكّان بعض المدن منها إسطنبول (من ٤٠٠ ألف إلى ٧٠٠ ألف)، وبيروت (من ٥٧٢ من الذكور الناضجين أي يخضعون للضريبة العام ١٥٢٥، إلى ٩٩٠ العام ١٥٩٥)، «مع تزايد المسلمين في بيروت ٧,٤٥ بالألف والمسيحيّين ١١,٧٩ بالألف

سنويًا»؛ وفي السنوات عينها لوحظ تراجع في حلب من ٦٧,٣٤٤ إلى ٤٥,٣٣١ وفي دمشق من ٥٧,٣٢٦ إلى ٤٢,٧٧٩. ويختم المؤلّف دراسته هذه بذكر الأسباب التي أثّرت في التطوّر الديموغرافيّ في طرابلس وفي مناطق الشمال إجمالًا.

يتلمّس تعريفنا هذا بعض التلميحات إلى الكنوز التي يحويها كتاب لبنان في أرشيف إسطنبول، فعساها تدفع بعض هواة تاريخنا إلى التعمّق في هذه الحقبة الزمنيّة. وأملنا أن نقرأ في المستقبل القريب ما يعود إلى ديموغرافيّة بلاد جبيل وكسروان وجوار بيروت والشوف والجنوب.

الأب سامي خوري اليسوعيّ

معركة مصير لبنان في عهد الانتداب الفرنسيّ ١٩١٨-١٩٤٦

الجزء الأوّل والجزء الثاني
تأليف شفيق جحا
مكتبة رأس بيروت، بيروت، ١٩٩٥، ١٠٥٤ صفحة

يعرض هذا الكتاب الموسوعيّ مرحلةً مهمّة وفاصلة من تاريخ الوطن اللبنانيّ المعاصر، مرحلة اتّسمت بصراع داخليّ بين مختلف الفرقاء حول هويّة الكيان اللبنانيّ، واتّسمت في الوقت نفسه بالصراع بين الدول العظمى من أجل السيطرة على الشرق العربيّ. وفهرس الكتاب العامّ موزّع على تسعة أبواب تتضمّن مائة وأربعين فصلًا. الباب الأوّل يعرض العهد الانتقاليّ ١٩١٨-١٩٢٠، والباب الثاني دولة لبنان الكبير ١٩٢٠-١٩٢٦، والثالث الجمهوريّة اللبنانيّة في مرحلتها الأولى ١٩٢٦-١٩٣٢، والرابع وضع لبنان في غياب الدستور والجمهوريّة ١٩٣٢-١٩٣٦، والخامس حالة لبنان في النصف الثاني من العقد الرابع ١٩٣٦-١٩٣٩، والسادس الفكر السياسيّ في لبنان ١٩٢٠-١٩٤٦، والسابع وضع لبنان في المرحلة الأولى من الحرب العالميّة الثانية ١٩٣٩-١٩٤٣، والثامن معركة الاستقلال ١٩٤٣-١٩٤٦، والباب التاسع معركة الجلاء ١٩٤٥-١٩٤٦، يضاف إلى ذلك سرد وفير للمصادر وفهرس عامّ ألفبائيّ للأعلام.

يعرّف المؤلّف عن نفسه بأنّه أوّل مَن أدخل تدريس مادّة التربية الوطنيّة والأخلاق بشكل نظاميّ في لبنان، ونشر، بالتعاون مع آخرين، سلسلة كتب التربية الوطنيّة والأخلاق، وشارك في وضع الكتاب الوطنيّ الرسميّ لتدريس مادّة التربية الوطنيّة، وفي وضع كتب التاريخ المدرسيّة. من مؤلّفاته أيضًا: الدستور اللبنانيّ: تاريخه وتعديلاته ونصّه الحاليّ، ودارون وأزمة ١٨٨٢ بالدائرة الطيّبة، وأوّل ثورة طلّابيّة في العالم العربيّ بالكلّيّة السوريّة الإنجيليّة، وظهر الكتاب مراجعة بقلم الأب سامي خوري في مجلّة المشرق (١٩٩٢، ص ٥١١-٥١٣).

إنّ اهتمام الأستاذ جحا بعهد الانتداب الفرنسيّ، بالرغم من كثرة المؤلّفات والكتب والدراسات والأبحاث المستفيضة في هذا المجال، نابع من اعتباره الأزمة اللبنانيّة

الراهنة، الناجمة بالدرجة الأولى عن اختلاف اللبنانيّين حول الولاء المطلق للكيان اللبنانيّ والاعتراف الكامل به وطنًا نهائيًا، قد بدأت فعلًا في أواخر الحرب العالميّة الأولى. وكذلك أثّر عهد الانتداب في أدوار التاريخ اللبنانيّ المعاصر عبر الصراع العقائديّ بين الأفرقاء اللبنانيّين حول تقرير هويّة بلدهم. ويلفت المؤلّف النظر إلى أنّ كثرة الدراسات في الموضوع لم تقفل باب العمل الفكريّ فيه، بل إنّ المجال لا يزال واسعًا والحاجة قائمة لإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث الموضوعيّة، وخصوصًا في الجوانب التي لا يزال يكتنفها الغموض والالتباس.

ولا شكّ في أنّ قراءة الدراسات التاريخيّة، كالدراسة التي وضعها الأستاذ جحا، تتطلّب السعي إلى استخراج المبادئ التي ينطلق منها المؤرّخ في بحثه ومعالجته مختلف الموضوعات، وكذلك في تأليفه التاريخ وإخراجه كما يراه. أمّا المبادئ في هذا الكتاب فيتحدّث عنها المؤلّف بصورة صريحة: التركيز على نقطة محوريّة أساسيّة هي مسألة الكيان اللبنانيّ ومصيره في خضمّ الصراعات الطائفيّة والعقائديّة والدوليّة والإقليميّة؛ عرض الأحداث التاريخيّة ورفدها بالتفاصيل الظرفيّة عندما تدعو الحاجة؛ ربط التاريخ اللبنانيّ بتاريخ المنطقة؛ الإكثار من الوثائق، وقد أُدرجت في متن السرد التاريخيّ في مكانها الطبيعيّ المناسب لتعبّر التعبير المباشر عن الحقيقة الموضوعيّة. والواقع أنّ متصفّح هذا التاريخ يجد نفسه أمام منهجيّة واضحة تعتمد العرض الواقعيّ الموضوعيّ، بدون مرجعيّة عقائديّة مترجمة، وأمام منهجيّة تفضّل التقرير الوثائقيّ، بما فيه من تفاصيل أحداث وأسماء وأعلام، على التفسير أو التأويل أو الشرح الذي يوجّه الحدث أو يربطه بمعطيات هي في الخارج عنه. إلّا أنّ هذا التاريخ يبقى في حدود معيّنة. فهو تاريخ «سياسيّ» قبل أيّ شيء آخر، لأنّ معركة مصير لبنان هي معركة سياسيّة، ولذلك فهو لا يعرض الأحداث الاجتماعيّة ولا الدينيّة الصرف ولا الفكريّة ولا الثقافيّة... وربّما قد يكون لتأريخ الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة أهمّيّة في مجال معركة مصير لبنان، إلّا أنّه من الصعب القيام بهذا العمل الذي يتطلّب الجهد الوافر والبحث الواسع.

ونعود إلى دراسة الأستاذ جحا لنتوقّف على بعض المحطّات المهمّة فيها:

- الواضح أنّ المؤلّف يركّز على وضعيّة الكيان اللبنانيّ، وذلك بيّن منذ الباب الأوّل عندما يكشف الانتقال من الحكم التركيّ إلى الحكم الفرنسيّ في العام ١٩١٨، موضحًا أنّ هناك مسألة لبنانيّة هي مسألة مصير الكيان اللبنانيّ، وهو أمر متّصلٌ بالوجود الفرنسيّ وبالصراعات ذات الطابع الدوليّ والإقليميّ. إلّا أنّ هذه المسألة ناتجة من وضعيّة البلاد آنذاك ومطالبة الجانب المسيحيّ بتحديد الكيان وإظهاره، وهذا ما تمّ التوصّل إليه. ومع أنّ جانبًا من المسلمين اتّخذ الموقف المعتدل من المسألة، موافقًا على الكيان الجديد، فإنّ المسألة اللبنانيّة بقيت من دون حلٍّ واضح حتّى العام ١٩٢٦، إذ شهد موقفُ المسلمين من الكيان اللبنانيّ تطوّرًا ملموسًا إيجابيًا ابتداء من الثلاثينات مع ترشيح محمّد الجسر لرئاسة مجلس النوّاب. وقد جاءت أزمة احتكار التبغ لتقرّب بين المتباعدين،

وكذلك بين بكركي ودمشق وقد كان للبطريرك عريضة الدور الفعّال في هذا التقارب.

- يفرد المؤرّخ المكان المرموق لقضيّة إبرام المعاهدة الفرنسيّة - السوريّة في ٩ أيلول ١٩٣٦، وكذلك لموضوع إبرام المعاهدة الفرنسيّة - اللبنانيّة في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦، أي بعد ما يقارب الشهرين فقط من إبرام المعاهدة الأولى. لا شكّ أنّ في إبرام المعاهدتين، بحسب الأستاذ جحا، يوضّح المسألة اللبنانيّة بشكل نهائيّ ويحلّها، كما يوضّح المسألة السوريّة برمّتها ويحلّها. والواقع أنّ العام ١٩٣٦ كان المفصل في حياة سوريا ولبنان السياسيّة، كما كان المنطلق، عبر المعاهدتين، إلى حياة سياسيّة جديدة وإنجاز استقلال البلدين عن فرنسا. ولكن، ألا يعني ذلك نوعًا من نجاح النظرة الفرنسيّة - وكذلك الأوروبيّة - إلى واقع الأمور في الشرق الأدنى؟ إلّا أنّ القبول بالكيان اللبنانيّ كيانًا منفردًا حمّل أبناءه مهمّة السعي إلى ميثاق وطنيّ مشترك يكون مصدر قوّة وثبات وديمومة واستقلال... فهل استطاع أبناؤه القيام بالمهمّة؟ على كلّ، فالحكومة الفرنسيّة لم ترسل المعاهدة إلى البرلمان، إذ بقيت المعاهدة، من جانبها على الأقلّ، مجرّد طرح على ورق لم يكن له الفاعليّة المرجوّة سوى تنبيهات وتحذيرات المندوب السامي في لبنان.

- يفرد الكتاب الباب السادس للكلام على الفكر السياسيّ في لبنان عبر التيّارات والأحزاب والحركات السياسيّة التي أنشئت في تلك الحقبة، ولا شكّ في أنّها مرحلة غنيّة شهدت بروز أحزاب تعبّر عن أفكار معيّنة، وقد صاغتها في عقائد محدّدة. والواقع أنّ نظرة نقديّة إلى وضع تلك الأحزاب، باستثناء الكتلة الوطنيّة والحركة الدستوريّة، تكشف هامشيّتها وعدم التصاقها بالواقع اللبنانيّ والحياة السياسيّة آنذاك.

- ويصل لبنان وسوريا إلى استقلال عجّلت به الحرب العالميّة الثانية، بعد أن ضَعُفَ الحكم الفرنسيّ وتطوّر التدخّل البريطانيّ، وأصبح إعلان الاستقلال حفاظًا على مصالح دولٍ منهمكة بالحرب العالميّة الثانية. إلّا أنّ الكيان اللبنانيّ «خرج ظافرًا منتصرًا من معركة المصير التي خاضها بتصميم وحزم في صدّه الانتداب الفرنسيّ. فقد استكمل لبنان استقلاله من جميع النواحي: الدستوريّة والسياسيّة والعسكريّة والعمليّة، وعزّز هذا الاستقلال وحصّنه لبنانيًّا بالوحدة الوطنيّة، وإقليميًّا بانتمائه إلى جامعة الدول العربيّة، ودوليًّا بانتسابه إلى هيئة الأمم المتّحدة» (ص ٩٩٦). بهذه الأسطر أطلق الأستاذ جحا، نداءً من الصميم ليعمل اللبنانيّون دومًا من أجل استقلال بلادهم، خصوصًا بالوحدة الوطنيّة الحقّ، القائمة على القبول المشترك بالحقوق والواجبات لدى كلّ فرد.

كتاب الأستاذ جحا عبارة عن موسوعة تتناول تاريخ لبنان تحت الانتداب وحتّى الاستقلال. إنّه مرجع لا يجمع الوثائق ويتبع المنهج الموضوعيّ في إبراز التاريخ بوقائعه وحسب، بل إنّه يروي لجيل اليوم وأجيال الغد، قصّة ولادة كيان بقوّة الإرادة والحرّيّة.

الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

حوادث ١٨٦٠ في لبنان ودمشق

لجنة بيروت الدولية - المحاضر الكاملة ١٨٦٠-١٨٦٢
تحقيق وترجمة الأب أنطوان ضوّ
دار مختارات، الزلقا (لبنان)، ١٩٩٦، مجلّدان، ٦٠٠ صفحة

يندرج هذا الكتاب القيّم في عداد المؤلّفات الأساسيّة التي لا بدّ منها لكتابة تاريخ لبنان. وتأتي أهمّيّته من عدّة وجوه: فهو أوّلًا يروي أحداث حقبة كانت ظروفها من أدقّ ما طرأ على تاريخ الكيان اللبنانيّ. ثمّ إنّ هذه الرواية ليست من باب الاجتهاد أو التأويل، بل كلّها وثائق أصيلة صدرت عن لجنة دوليّة رصينة استندت إلى التحرّيات والتمحيص والأرقام الدقيقة، وزادها مصداقيّةً كونها مؤلّفة من مندوبي الدول الخمس الكبرى في ذلك الزمن، إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا، فضلًا عن مندوب الإمبراطوريّة العثمانيّة. وأخيرًا تفيد هذه المحاضر مَن يطالعها لا لفهم التاريخ الماضي وحده، بل لإدراك أبعاد ما تكرّر في أيّامنا ولم تنتهِ فصوله حتّى الآن. فالتاريخ معلّم، لأنّه يعيد نفسه باستمرار.

يبدأ الكتاب بمقدّمة حرّرها الناشر، هي غاية في البلاغة على إيجازها، لما لصاحبها من خبرة في موضوع مشابهٍ موضوع الكتاب، هو معالجة شؤون مُهَجَّري الحرب اللبنانيّة الأخيرة. ثمّ تلي مقدّمة المترجم المحقّق استخلص فيها أهمّ عناصر المصنَّف، مسهِّلًا بذلك العملَ لمَن يخشى أنْ يتيه في صفحات الكتاب الطويلة وتفاصيلها المتشعّبة. وحسنًا فعل لمّا لاحظ أنّ من الأمور التي مهّدت الطريق لتلك الأحداث الدامية المريعة، سلسلة ظواهر وتطوّرات، منها التفاوت الاقتصاديّ بين المسيحيّين والدروز (ص ١٥)، وانقسام المسيحيّين حول موضوع رئاسة قائممقاميّتهم (ص ١٦) والعامّيّات، لا سيّما عامّيّتي لحفد وأنطلياس (١٨٢٠-١٨٤٠)، وثورة الفلّاحين في كسروان (١٨٥٨)، فضلًا عن الاحتلال المصريّ في عهد محمّد علي باشا وابنه إبراهيم (١٨٣١ و١٨٤٠). ولم ينسَ أن يشير إلى ما كان لتنافس الدول العظمى من آثار وخيمة، إذ كانت كلّ واحدة تسعى إلى بسط نفوذها وترسيخ دعائم مصالحها من خلال دعم كلّ دولة طائفةً، ممّا فرّق الشمل وباعد بين القلوب (ص ٢٢).

أمّا القسم الثالث في الكتاب وهو محاضر جلسات اللجنة الدوليّة، فإنّه يتحلّى بميزتين أساسيّتين، أولاهما هي أنّ تلك التقارير أشبه بمرآة تعكس مواقف الدول الستّ المعنيّة بموضوع لبنان. فيلفت انتباه المطالع تكرار المواقف التي يتبنّاها كلّ فريق، ممّا يؤكّد منحى سياسة بلاده: فيدو، مثلًا، المندوب الإنكليزيّ مدافعًا دائمًا عن الدروز، فيبرّر سلوكهم ويعزو انتفاضتهم - التي يُعترف بأنّها كانت شرسة - إلى رغبتهم في الدفاع عن النفس في وجه تحرّشات المسيحيّين، وقد اتّهمهم بأنّهم أرادوا إبادة الدروز. وعلى العكس يبري المندوب الفرنسيّ محاميًا باستمرار عن الموارنة، في حين يسعى ممثّل السلطان العثمانيّ إلى إنقاذ ما يمكنه إنقاذه، مستجيبًا لمتطلّبات اللجنة تارةً، ومحاولًا التملّص تارةً أخرى، ومضطرًّا في جميع الأحوال إلى الإقرار بمسؤوليّة السلطات العثمانيّة التي لم تَسْعَ إلى وأد الفتنة في مهدها، بل ساعد بعض مأموريها وضبّاطها على تأجيج النار.

والميزة الثانية المهمّة في تقارير اللجنة هي ما توفّره من أرقام وجداول ومسوّدات مشاريع وسواها من المعطيات. مثلًا: جداول أسماء المحكومين بالإعدام أو بالسجن، أعداد القرى المهدّمة والضحايا، قيَم التعويضات التي وُزّعت على المتضرّرين، مشروع إعادة تنظيم جبل لبنان (ص ٣٠٧-٣١٨ و٥٦٣-٥٧٥)، إلخ...

إنّ المؤلَّف الذي حقّقه الأب ضوّ وترجمه وفهرَسَهُ هو بالغ الأهمّيّة، ولا شكّ في أنّه سيلاقي رواجًا مشهودًا لدى الخاصّة والعامّة. ورغبةً منّا في أن يصدر الكتاب بأبهى حلّة في طبعته الثانية، نشير إلى بعض الهنات الشكليّة: في الصفحة ١٩، نسيَ المحقّق ذكر مثّل روسيا مع زملائه من أعضاء اللجنة. وفي الصفحة ٦١، المقطع الثالث، وقعت حلّة أغلاط لغويّة في أقلّ من أربعة أسطر: «الكفيلة لمنع تكرار»، والصحيح «بمنع تكرار»؛ «تهمّ حكومة السلطان أكثر ما تهمّ أوروبّا»، والصحيح «أكثر ممّا تهمّ...»؛ «لا عددهم ولا مكانتهم يمكنها أن تثنيه»، والصحيح «يمكنهما أن يثنياه». وفي الصفحة ٦٧، السطر ٣، جاء ما جرفه: «إذا كانت هنا فعلًا ثمّة مؤامرة»، وكان الأولى أن تحذف «ثمّة» أو «هنا». وفي الصفحة ٢٤٨، السطر ٣، قيل: «نجح في المرّة الأولى. ولئن كان أقلّ سرورًا في الثانية...»، وكلمة «سرورًا» هنا هي ترجمة خاطئة للفظة الفرنسيّة heureux ولا تعني في هذا السياق السعادة بل «الحظّ»...

بيد أنّ هذه الهفوات لا تُقاس البتّة بفوائد هذا المصنَّف المرجع الفريد. وإنّنا نشارك المحقّق المترجم الكريم ما قاله في ختام مقدّمته: «آملًا أن يكون هذا الكتاب في خدمة الباحثين والمثقّفين فنرى بشاعة الحوادث الأليمة ونأخذ العبرة منها لبناء مجتمع المصالحة والغفران والوحي والعدالة والعيش المشترك والاستقلال بحرّيّة ومحبّة في لبنان والمحيط».

الأب كميل حشيمه

مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة

تأليف الدكتور جوزيف كلّاس

دار طلاس، دمشق، ١٩٩٥، ٣٧٢ صفحة

الدكتور جوزيف كلّاس طبيبُ قلبٍ معروف في سورية، وهو إلى ذلك وَجْهٌ اجتماعيّ وأدبيّ من وجوه دمشق. ورغم أنّ الناشر أغفل إعلام القارئ عن المؤلِّف، فإنّني أظنّ أنّ هذا الكتاب أوّل كتبه، رغم غزارته محاضرًا وباحثًا منذ عقود.

وللكتاب تقديمٌ رشيق بقلم المؤرّخ الدكتور شاكر مصطفى يختمه بقول حقّ: «حين تنهي الكتاب، احسب، يا قارئي العزيز، أنّ ربيعًا من السعادة قد يرعم في أعماقك، لأنّك تعيش أواخر القرن العشرين بعد أن اجتمع لخدمتك تراث الإنسانيّة الطبّيّ كلّه. ومَن ذا الآن يطيق عذابات المرض في القرون الأولى، وانتظار خروج الشياطين بالرقّ أو الأعشاب؟».

يبحث الكتاب في تسعة فصول قصّة الطبّ في عصور ما قبل التاريخ، ثمّ الطبّ السوريّ، فالبابليّ والآشوريّ (في فصل واحد) فالهنديّ فالفارسيّ فالفرعونيّ فالإغريقيّ

فالروماني. أمّا الفصول الخمسة الأخيرة فتركّز على الطبّ العربيّ وعلم النبات العربيّ. والكتاب مزوّد قائمة مراجع عربيّة وأجنبيّة.

ما قرأت صفحة في كتاب أهدانيه الدكتور جوزيف إلّا كانت الفائدة والمتعة نصيبي. إلّا أنّ المتعة أخلّت إحدى صفحاته فحلّت محلّها مشاعر أخرى. كنت أعرف المرّ الذي أحاط المأمونُ به حنينَ بن إسحق، ولكنّني حزنت (ص ٣١٦) لأنّ حنينًا أُجبِرَ على دفع ثمن مسبق لما نَعِم به، هو سَجْنُهُ عامًا لكي يتمّ اختبار ولائه فلا يكون عميلًا لملك الروم! فهل من مقتضيات أمن الدولة الشكّ في العلماء؟

هذا ويَعْبِقُ الكتابُ بأريج أدبيّ يُحسِنُ المؤلّف مزجه بجوهر الكتاب العلميّ. كذلك يفيض بروح تصالحيّة تضمّ بمحبّة الديانات والقوميّات على خلفيّة اعتزاز بالعرب والعروبة.

د. جورج جبّور

تاريخ دير القدّيسَيْن سركيس وباخوس، إهدن

تأليف الأب شربل أبي خليل الأنطوني
بيروت، ١٩٩٥، ١٨٤ صفحة

تاريخ دير القدّيسَيْن سركيس وباخوس زغرتا

تأليف الأب شربل أبي خليل الأنطوني
بيروت، ١٩٩٥، ١٥٠ صفحة

بارك الله في همّة المؤلّف الذي أنحفنا بهذين المصنّفين الشقيقين، بهما أرّخ لديرين شقيقين عريقين، فوفّر موادّ إضافيّة لبناء صرح تاريخ لبنان الدينيّ والاجتماعيّ.

لقد جمع المصنّف عشرات الوثائق التي تمتّ إلى الديرين المذكورين واهتدى إلى عدد كبير من المراجع التي ذكرتْهما، فلم يترك شاردة ولا واردة تفيد مرامه إلّا أدرجها في كلّ من الكتابين. أمّا خطّته في العرض فكانت معالجة الموضوعات التالية بالتسلسل: تأسيس الدير - وأوّلهما مرغل في القدم يرقى إلى القرن الثامن بحسب بعض المؤرّخين -، سلسلة رؤسائه، أسماء مَن تعاقب عليه من الرهبان، مشاهير مَن زاره، أملاكه، اقتصادياته، إشعاعه الروحيّ والثقافيّ. يضاف إلى ذلك بضع عشرة وثيقة قديمة مصوّرة في آخر الكتاب، فضلًا عن الكثير من الرسوم الشمسيّة.

لا شكّ في أنّ مثل هذا النوع من الكتب هو بمكانٍ من الأهمّيّة لأنّه يرسم لنا صورة واقعيّة، حيّة، لماضٍ مجيد لا بدّ لأبناء اليوم من استشرافه، فيستنير الخَلَف بضياء صالح السَّلَف.

أ. ك. حشيمه

L'an prochain à Tibérinde...
Lettres d'une jeune palestinienne du Liban

par Rachn Salah
avec la collaboration de Luc Balbont
Ed. Albin Michel, Paris, 1996, 208 pages

تُطالع هذا الكتاب بشغف، وتقرأه من الدفّة إلى الدفّة بدون توقُّف لشدّة ما يأسرك. كاتبته فتاة فلسطينيّة عاشت في مخيّمات لبنان مع ذويها اللاجئين من نواحي طبريّا، ثمّ ذهبت إلى فرنسا للدراسة تحدوها رغبةٌ في العودة إلى خدمة أطفال شعبها المعذَّب.

أسلوب الكتاب طريف، قوامه عشر رسائل بعثت بها رشا إلى صديق لها تخبره في كلّ واحدة منها عن مظهر من مظاهر حياة مواطنيها وتاريخهم ومعاناتهم وتطلّعاتهم. وما يعجبك في ما قامت به الكاتبة أنّها لم تَنصَعْ إلى الأهواء كالتطرّف أو المرارة أو الحقد، بل وصفت وحلّلت وحكمت برصانة واتّزان. فصفحاتها تعكس شعورًا إنسانيًّا عميقًا لا يخلو من مسحة حزن وألم، ولا عجب.

ولمّا كان الكتاب أقرب إلى الشهادة الشخصيّة الحيّة منه إلى المصنَّف التأريخيّ المنهجيّ، فلم يخلُ من بعض التبسيط أحيانًا ومن بعض المبالغات - الطفيفة - أحيانًا أخرى. نشير على سبيل المثال إلى ما ورد في الصفحة ٣٦ حول سلوك الجنود اللبنانيّين، وفي الصفحة ٤٠ حول مضايقات السلطات اللبنانيّة، وفي الصفحة ٥٠ حيث قيل إنّ لبنان كان قبل الحرب وطنًا مصطنعًا خاضعًا لمراهنات أصحاب المصارف. وكذلك تمرّ الكاتبة مسرعةً خجولةً بمسألة تورّط بعض الفصائل الفلسطينيّة في شؤون لبنان الداخليّة (ص ١٢٧-١٢٨)، أو تعلن ببساطة وتبسيط أنّ الفلسطينيّين سيصبحون الدولة الديمقراطيّة الأولى في الشرق الأدنى العربيّ (ص ١٤٥). ومعرفتها ببدايات الإسلام غير دقيقة، فهي ترى أنّ علاقات المسلمين بالمسيحيّين كانت متوتّرة منذ أيّام الرسول في حين لم يكن بينه وبين اليهود أيّ مشكلة (ص ١٥٢). والمعلوم هو عكس ذلك. بيد أنّ هذه النواقص الطفيفة لا تحجب ما يمكنه كتاب رشا صلاح من نور هاديّ، وما ينبعث منه من أمل ورجاء.

وتجدر الإشارة في الختام إلى أنّ الكاتب والصحافيّ الفرنسيّ لُوك بَلْبُون شارك المؤلّفة في إعداد كتابها، وأثَرُه بادٍ بلا شكّ. فهو فرنسيّ متزوّج من لبنانيّة، أحبّ البلاد العربيّة وتفهّم شؤونها وشجونها، وله كتب ذات طابع إنسانيّ مميَّز، منها واحد بعنوان العيش في القدس، وآخَر موضوعه الأمّ تريزا في تقشّفها وضميرنا نُقل إلى العربيّة (دار المشرق، ١٩٩٤).

أ. ك. حشيمه

Société civile et communauté religieuse
Expérience culturelle d'un village chrétien
dans la société arabe contemporaine

par Robert Benedicty
Collection «Hommes et Sociétés du Proche-Orient», Dar el-Machreq,
Beyrouth, 1996, 720 pages.

المجتمع المدنيّ والجماعة الطائفيّة
الخبرة الثقافيّة المعاشة في قرية عربيّة مسيحيّة

يعرض هذا الكتاب نتائج الاستقصاء الأنثروبولوجيّ الذي أجراه الباحث، وهو راهب يسوعيّ، في إحدى قرى سهل عكّار. كان يرصد حياة القرويّين ويستمع إلى الأقوال التي تصدر عنهم في مواقف الحياة المتنوّعة، ممّا سمح له بجمع البيانات الأنثروبولوجيّة التي من شأنها أن تتيح الاطّلاع على الخبرة الدينيّة والثقافيّة المعاشة في المجتمع المحلّيّ موضع البحث. إنّ دراسة محتويات خطاب القرويّين، وتحليل الموضوعات التي تؤلّف نسيج فكرهم تحليلًا كمّيًّا، يتيحان النفاذ إلى عمق حياتهم الدينيّة في شطرَيْها الروحيّ والجماعيّ.

د.م.ر.

Convertis à l'Islam aujourd'hui, à Séville

par Thérèse Roland-Gosselin
Fondation pour le progrès de l'homme, Paris, 1995, 122 pages

إعتنقوا الإسلام اليوم، في إشبيلية

مجموعة من الشهادات أدلى بها مواطنون إسبان اعتنقوا الإسلام، وقد أُدرجت في نصّها الأصليّ بالإسبانيّة وترجمته إلى الفرنسيّة. قدّم لها الأستاذ المستشرق ميكال دي إيالّا قربطها بسياقها وأُطُرِها، مشيرًا إلى مختلف أنواع التحوّل إلى المسيحيّة ثمّ إلى الإسلام في المجتمع الإسبانيّ، منذ القرن الخامس حتّى عصرنا الحاضر.

يبدأ الملفّ بشهادتَيْن لمسيرتَيْن تختلف إحداهما عن الأخرى كلّ الاختلاف: في الأولى تُخبر ياسمينة أنّها وجدت في الإسلام الجواب عن تساؤلاتها ومرشدًا عمليًّا لحياتها. وباعتناقها الإسلام تعتبر نفسها ملتزمةً التزامًا شخصيًّا بالله وتعلن هذا الرابط عن طريق تبنّيها الحجاب الشرعيّ بملء إرادتها وحرّيّتها. أمّا فِيثِنْتِه (منصور)، صاحب الشهادة الثانية، فقد نبذ المسيحيّة لأنّها بدت له ديانة الألم وعقدة الذنب، ديانةً تتجاهل الجسد والحياة الجنسيّة، في حين وجد نفسه في الإسلام متحرّرًا من الإله، مرتبطًا بإلهٍ – طاقةٍ يسبغ على الحياة معناها ويتيح الانشراح بالروح والجسد معًا، في حضن جماعةٍ حيّةٍ

فاعلة. وبلي هاتَين الشهادتَين بعضُ أقوال لعدد من الذين اعتنقوا الإسلام، تلقي أضواءً وتأتي بالفائدة لمعرفة جماعة المسلمين في إشبيلية. ومجموع هذه النصوص مؤثِّر لِما فيه من عفويّة ولِما يعكس من خبرة معاشة. ومن خلال قُرادة الشهادات الشخصيّة تبرز تساؤلات أساسيّة يطرحها كلّ تحوّل من دين إلى دين آخر. وفي آخر الكتاب لائحة بعدد كبير من المراجع صدرت في السنوات الثلاثين الأخيرة حول الإسلام والمسلمين في إسبانيا.

جُولييت حدّاد

Activité humaine et agir de Dieu
Le concept de «Sunan» de Dieu dans le commentaire coranique du Manār

par Christian Van Nispen Tot Sevenaer
Collection «Recherches», Série A. Langue arabe et pensée islamique, n°18
Dar el-Machreq, Beyrouth, 1996, 536 pages

أفعال الإنسان وعملِ الله. مفهوم «سُنَن الله» في تفسير «المنار»

لقد ازداد اهتمام الرأي العامّ اليوم بتطوّر العالم الإسلاميّ وفكره، لا سيّما أنّ هذا التطوّر يتّجه إلى أنماطٍ فكريّة وعمليّة تتراوح بين الحركات الأصوليّة و«الإسلاميّة»، والتيّارات العصريّة والعلمانيّة.

غير أنّه يخفى على مُعظم الناس أنّ مثل هذه الحركات المعاصرة المختلفة المضمون والانتماء تترسّخ في حركات تطوّر أوسع نطاقًا، عرفتها الأمّةُ الإسلاميّة منذ ما يناهز المئتي سنة، ولا سيّما في التي سُمّيت أوائلَ عصرنا هذا «حركة الإصلاح الإسلاميّ».

يتطرّق هذا الكتاب – من خلال دراسة معمَّقة لتفسير المَنار القرآنيّ الشهير، تأليف الشيخ محمّد عبدُه (ت ١٩٠٥) والسيّد رشيد رِضا (ت ١٩٣٥) رائدَيْ حركة الإصلاح – إلى قضيّة من أعمق القضايا الفكريّة وأشملِها، طَرحَها الفكرُ الإسلاميّ على نفسه، وهي قضيّة العلاقات بين عمل الله وسيادته اللامتناهية من جهة، وأعمال الإنسان في حياته على مختلف ظواهرها من جهة أخرى. كما يحاول الكتاب الكشف عن قضيّة أخرى تتفرّع من الأولى لم تَزَلْ تُراود أذهان مُفكّري الإسلام منذ بدايته إلى أيّامنا هذه، ألا وهي التوفيق بين قدرة الله المُطلقة وتقديره تعالى لمصير الإنسان من جهة، وحرّيّة هذا الأخير وممارسته إيّاها من جهة أخرى.

ن. ك.

العدل في المسيحيّة والإسلام

تأليف عادل تيودُور خوري وبشير باسيل عون
بالاشتراك مع كيرلُّس بسترس، محمود زقزوق، ميشال عوّاد،
رضوان السيّد، جورج خضر ومسعود المولى

المجلّد الأوّل من سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون» (مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ CERDIC)، المكتبة البولسيّة، جونيه، لبنان، ١٩٩٦، ١٩٢ صفحة

هذا الكتاب باكورة سلسلة في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ، وهو حصيلة ندوة موسّعة معمّقة في موضوع العدل في المسيحيّة والإسلام، عقدت في رحاب المركز الحواريّ الجديد الذي بادرت إلى إنشائه جمعيّة الآباء اليولسيّين، برعاية معهدها الجامعيّ، معهد القدّيس بولس للفلسفة واللاهوت. وإذا كان مضمون الكتاب، في فصوله المتلاحقة، يعرض آراء مختلف المحاضرين في موضوع العدل، فإنّ المقدّمة التي كتبها بشير عون جاءت تبريرًا صاغ مختلف الحجج والدلائل والقرائن التي تؤيّد إقامة المركز الجديد، وهو «يُعنى بتعزيز الحوار الفكريّ الأكاديميّ البحث الرامي إلى إظهار مواضع التعاون والتكاتُف بين المسيحيّة والإسلام»، مع أنّ كاتب المقدّمة يشير إلى «حدّة التساؤل المشكّك في جدوى مثل هذا التأسيس بعد أن دأبت معظم الجامعات اللبنانيّة على إنشاء مراكز ومعاهد للدراسات الإسلاميّة المسيحيّة». والواقع أنّ المقدّمة تلخّص الدوافع بالقول إنّ أضعف الحجج في تبرير قيامة المركز هو أنّه «لا ضَيْر في كثرة الإنتاج في صناعة الحوار والتقارب الحضاريّ». أمّا الميزات التي يتحدّث عنها المقال لاحقًا فإنّها تصلح لمراكز أخرى في المجال نفسه، سوى أنّ الحجّة أو الميزة الثالثة ليست واضحة وكاملة على الصعيد الفلسفيّ، إذ إنّ الهويّة تنطلق أيضًا من الذاتيّة كآخر في الذات، بحسب ما أكّده الفيلسوف الفرنسيّ المعاصر بول ريكور.

ونظر في وقائع المحاضرات التي يتضمّنها الكتاب، فنبدأ بمحاضرة المطران بسترس، ذات الطابع الكلاسيكيّ، التي تشدّد على أنّ العدل لا يجد كماله إلّا في المحبّة القيّمة المطلقة، وإلّا أصبح إطارًا جامدًا. ويليه الأستاذ محمود زقزوق، وهو نائب رئيس جامعة الأزهر، فيتحدّث عن العدل في التصوّر الإسلاميّ من منطلق المصادر الأساسيّة، وهي القرآن الكريم والسُّنّة النبويّة الصحيحة، فيكوّنان للعدل قيمته ومطلقيّته، وهو لا يناقض الحرّيّة الفرديّة، إذ إنّ الحرّيّة تساعد الفرد على احترام العدل ورفع الظلم. أمّا مداخلة الأستاذ ميشال عوّاد فكانت عن العدالة الاجتماعيّة في الفكر المسيحيّ، تحقيقًا لمفهوم العدل النظريّ، وأساسًا للفكر الاجتماعيّ المسيحيّ. إذ تحدّث عن أنواع تلك العدالة وأسسها، وعن ضرورتها الأساسيّة في السلام الاجتماعيّ؛ هذه العدالة، المفهوم الثابت، هي ديناميّة في التاريخ لأنّها تتّخذ أشكالًا مختلفة باختلاف المجتمعات والأوضاع.

أمّا الأستاذ رضوان السيّد فمحاضرته في «مسألة العدل في الفكر الإسلاميّ الحديث والمعاصر» هي عرضًا تاريخيًّا للموضوع ما بين الماورديّ والطهطاويّ وخير الدين التونسيّ

والكواكبيّ وغيرهم من الإصلاحيّين الذين دعوا إلى تجديد الفكر والاجتهاد الإسلاميّين، لكي تلتحق الأمم الإسلاميّة بركاب الأمم المتقدّمة المتطوّرة، في حين أنّ التأليف والنظر الإسلاميّين في أواخر السبعينات انتهيا إلى أنّ «الغرب شرّ مطلق» (ص ١٠٤). أمّا المفكّرون الإسلاميّون المعاصرون فإنّهم يقولون بأنّ لا عدل كاملًا إلّا بتطبيق الشريعة، ولا عدل إلّا في النصّ، في حين أنّ الواقع الإسلاميّ التقليديّ كان قد أقرّ بأنّ كلّ عدلٍ هو في منزلة الشرع.

مع المطران لحضر ثمّة دعوة إلى تجاوز عوائق العيش المشترك من طوائفيّة وأصوليّة، وإلى وحدة ثقافيّة تكون أساس العيش المشترك. أمّا الأستاذ مسعود المولى فمداخلته تنطلق من العدل في منظور الشيعة، داعيًا إلى تطبيقه في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، على أنّه مفهوم مشترك، وإلى إبداع صيغة فقهيّة حواريّة تعايشيّة جديدة. ويختم الأب عادل خوري هذه المحاضرات بمداخلة جامعة تولیفيّة تحدّد معالم الاتّجاه الجديد في الحوار وأسس التطلّع إلى المستقبل.

أ. س. د.

حوليّات

فرع الآداب العربيّة في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة - جامعة القدّيس يوسف
المجلّد السادس - ب -، بيروت، ١٩٩١-١٩٩٢، ٣٠٨ صفحة

الجزء الثاني هذا من المجلّد السادس يكمّل الجزء الأوّل، فهو مثله مخصّص بالبروفسور الأب جان - موريس فييه الدومينيكيّ، وقد كان من المفروض أن يقدَّم إليه تحيّةً وإكرامًا في ذكرى مولده الثمانين، ولكنّ الله توفّى إلى جواره ذاك العالم الفاضل يُعيد صدور الجزء الأوّل بأيّام معدودة، فلم تكتحل عيناه بالقسم الأخير هذا.

لقد جُمع في القسم الأوّل المقالات المحرَّرة بالعربيّة، أمّا مقالات القسم الثاني هذا فهي مكتوبة باللغات الأوروبيّة: الفرنسيّة والإنكليزيّة والألمانيّة، وتتصدّرها سيرة الأب فيه العلميّة (ص ٥-١٦) وسيرته الذاتيّة (ص ١٧-٧٤) كتبها، رحمه الله، بعفويّة ولباقة يمتزج بهما تواضعٌ جمّ وفكاهة محبّبة. أمّا المقالات التي تؤلّف متن الكتاب فهي بقلم كبار من العلماء والمستشرقين، نورد بعض عناوينها معرّبة:

«ملاحظات حول الألفاظ التي تعني «الوجود» في الفلسفة الإسلاميّة والكلام»، بقلم المرحوم الأب جورج شحاته قنواتي (ص ٧٥-٩٨).

«ملاحظات حول تفسير القُشَيريّ الصوفيّ «لطائف الإشارات»»، بقلم ووجيه أزناليز، الأستاذ في جامعة السوربون، باريس (ص ٩٩-١٠٦).

«الأناشيد والقراءات في الجنّازات القديمة بحسب المخطوط الفاتيكانيّ السريانيّ ٥٩ ومصادر أخرى»، تحقيق الأب ميشال بريدي، مدير معهد الأدب العربيّ المسيحيّ في جامعة ڤيتر/ هردكه بألمانيا (ص ١٠٧-١٢٠).

«الطبريّ ومسيحيّو بني تغلب»، بقلم كلود جيليو من جامعة بروفانس في فرنسا (ص ١٤٥-١٦٠).

«في روحانيّة الكنيسة المارونيّة والمونوتيليّة وكريستولوجيا (الراهبة) هنديّة»، تأليف الدكتور جاد حاتم، رئيس قسم الفلسفة في كلّيّة الآداب بجامعة القدّيس يوسف (ص ١٧٣-١٩٤).

«القرآن والوحي والتاريخ»، بقلم الأب جاك جوميه الدومينيكيّ (ص ١٩٥-٢١٣).

«أصحاب الكهف والرقيم...»، بقلم الأب إميليو بلاتّي الدومينيكيّ، من جامعة لوڤان (٢١٧-٢٣٤).

«ثقافات الفرنج واليونان والعرب في مملكة قبرص إبّان القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر»، لجان ريشار عضو أكاديميّة الرُّقُم والآداب الجميلة الفرنسيّة (٢٣٥-٢٤٥).

«إشارة إلى أبي رائطة التكريتيّ عند ابن حزم القرطبيّ»، تأليف الأب سمير خليل سمير اليسوعيّ، جامعة القدّيس يوسف، بيروت (٢٦٥-٢٧٣).

فضلًا عن مقالات أخرى للأساتذة المعروفين عرفان شهيد وعلي زيعور ومارتينيانو رونكالّيا وزولان ڤينيه وجاك غران هنري وأندره دُوهالُو وسياستيان بروك، ممّا يجعل هذا الكتاب زاخرًا بالمعلومات القيّمة المتنوّعة البالغة الإفادة.

ك. ح.

دفاتر الثقافة

تأليف روّاد طَرَبَيه

دار المجاني، بيروت، ١٩٩٦، ٤٤٢ صفحة

كثيرون في البلدان العربيّة عرفوا روّاد طربيه واستمعوا إليه معلّقًا فذًّا ومحلّلًا دقيقًا لَبِقًا في برامجه الثقافيّة من إذاعة مُونْتِه كارلو، يشدّهم إليه بطريق موضوعاته وتنوّعها، وبديع صياغته، ودفء صوته وبليغ نطقه. وقد عُرف أيضًا أستاذًا جامعيًّا في باريس، التي يعمل فيها منذ نحو أربعين سنة، فضلًا عن ترجمات رفيعة المستوى نَقَل بها إلى الفرنسيّين مختار الشعر العربيّ الحديث، وإلى الناطقين بالعربيّة مختار الشعر الفرنسيّ من بُودلير إلى بريڤير. وله، إلى ذلك شعر موضوع وشعر منقول.

أمّا كتابه دفاتر الثقافة فهو حصيلة ما ألقاه من أحاديث طوال سنوات وسنوات، جَمَعها وبوّبها ضمن اثني عشر «دفترًا» يعالج كلّ منها ناحية من نواحي الثقافة. وقد جاءت هذه المُجالات، التي أرادها مختصرةً مفيدة، «إطلالاتٍ كاشفة»، على حدّ ما قال، في ضوئها يطالع القارئ عشراتٍ من الموضوعات حول كلّ ما له علاقة باللغة والكتابة، والرواية والشعر والنقد، وسِيَر العظماء، والملكيّة والوطنيّة، فضلًا عن العموميّات والخصوصيّات.

وأوّل ما يلفت الانتباه في هذا المصنَّف الكبير بحجمه، الكبير بقدره، أنّه عميق المعاني أنيق المباني، وافر العَلاء للفكر وساحر الألباب بجرْسه. أسلوبه فتّان يحملك ويسير بك على إيقاع جُمَلٍ متهادية جَزْلة تارةً، ومنقبضة مجموحة تارةً أُخرى، تسايرك حينًا وتفاجئك حينًا آخر فلا تدع للرتابة مجالًا بل تشدُّك إليها في شوق مستمرّ. أمّا الموضوعات المطروحة، فهي، على اختلافها وتنوّعها، لا بل بسبب هذا الاختلاف وهذا التنوّع الغنيّ، تؤلّف مجموعة هي أشبه بالموسوعة المتكاملة، يعود إليها الدارس والباحث مرجعًا موثّقًا، وينهل منها الأديب والمثقّف بلذّة وارتواء. ومن أجمل ما تجده في كتاب طربيه دمجه الفكرة الناجذة بالكلمة النافذة دمجًا وثيقًا في كثير من الإيجاز، فتصدر عباراته في أغلب الأحيان وكأنّها حِكَم ما عليك إلّا أن تستشهد بها أمثالًا. وإليك بعض ما جاد به، لا فُضّ فُوه:

- «ما أمهرنا بمَلء الفراغ بفراغٍ أوحبّ منه، وكأنّه الرماد نذرّه في العيون أو بخارُ الأفيون» (ص ٤٠).
- «من النادر أن نخترع جديدًا ما لم نكن مشبّعين بمعارف السابقين» (ص ٤٩).
- «مَن لم يحاول فاته التمييزُ بين الممكن والمستحيل» (ص ١١٤).
- «لا فضل لنظام على نظام إلّا بقدر رحمته بالناس» (ص ٢٨٤).
- «بشاعة الطبيعة من بشاعة نفس الإنسان، وأدب السلوك هو أدب الملوك» (ص ٣٥٣ - قالها في حماية البيئة).
- «الكثرة والقلّة لم تكونا يومًا معيارًا للصواب» (ص ٣٦٥).
- «الأعمار تقاس بمآتيها لا بتعاديها» (ص ٤٢٠).
- «يغيب عن ذاته فيما يحسن به أن يغيب في ذاته» (ص ٤٣١ - قالها في المهووس).

ولئن سئلتُ: ما هي الفصول التي كانت أحبّ إليك من بين بضع مئات فصول هذا الكتاب، لتحيّرتُ في ردّ الجواب. فجميعها مليحٌ جذّاب مفيد. وهل تُسأل النحلة ما هي الزهرة التي تفضّلها على سواها بين مئات الأزهار التي تسرح بينها وتمرح في الحدائق؟ فما عليك، يا صاح، إلّا أن تنزل إلى البستان وتستنشق الرحيق وتغرف لنفسك ما يستحيل لك شهدًا شهيًّا.

وهل يجوز لنا، بعد مشاهدة هذه التحفة والتأمّل في محاسنها الجمّة، أن نشير إلى بعض ما اعتورها من هنات؟ فلنُبْقِها بخَفَر وصِدق لتجلو عن المرآة الصافية ما لصق بصفحتها الجميلة من ذرّات غبار. فقد ورد في كتاب طربيه عدد لا بأس به من الأخطاء الشائعة التي كنّا نؤثر عدم ورودها:

- يُحر لِوحده (ص ٢٩)، ثابتة لِوحدها (ص ٢٣٠)، أضمّها لِوحدي (ص ٤٢٦)، والصحيح: وحدَه، وحدَها، وحدي، بدون اللام.
- بهذه المناسبة (ص ١٥)، بمناسبة ترجمته، وبمناسبة صدور (ص ٢٥٣)، بمناسبة دراسة (ص ٦٥)، بمناسبة ذكراه (ص ٣٨٩). والأصحّ: لمناسبة.
- تعليم العربيّة للأجانب (ص ٢٠٨)، القرن الأوّل للميلاد (ص ٢١٢). واستعمال اللام للإضافة في كلا العبارتين غير فصيح. إن هو إلّا نقل بالحرف عن صِيَغ أجنبيّة (راجع

مقالنا في «تشويه الفصحى بالعبارات العاميّة والأجنبيّة»، المشرق، ١٩٩٦، ص ٢٠-٢٣). والصحيح أن يقال: تعليمُ الأجانب العربيّة، والقرن الميلاديّ الأوّل.

- إبداعه من جديد (ص ٢٦٩). والصحيح: إبداعه مجدّدًا (راجع المقال المذكور، ص ١٠-١١).
- الصدقة (ص ٢٦٩، في المقطعين ١ و٤)، والكلمة مولّدة بمعنى المصادقة والاتّفاق.
- يفكّر به هذا أو ذاك (ص ٤٠) أفكّر بالمغامرين (ص ٦٢)، والتفكير لا يكون بـ الشيء، كأنّه آلة، بل في الشيء.
- يخفّف من حماستنا (ص ٨٥)، تدريس العربيّة بحماس (٤٢٢)، والصحيح الحماسة، لا الحماس.
- المعرفة الحقّة (ص ٤٣). والصحيح: المعرفة الحقّ، لأنّ لفظة «حقّ» ليست صفة بكلّ معنى الكلمة فتؤنّث، بل تقوم مقام الصفة، ولمّا كانت مصدرًا فإنّها تلزم التذكير والإفراد. وعلى هذا النحو نقول: رجل عَدْل، وامرأة عدْل.
- جذورنا تجذّرنا (ص ٥٦)، التجذّر (ص ٦٨). هذان اللفظان يعنيان عكسَ ما عناه المؤلّف، فهو إنّما أراد الكلام على التأصّل (بالفرنسيّة enracinement) فلجأ إلى صيغة عاميّة تعني ما ابتغاه، في حين أنّ الصيغة الفصحى تعني... الاستئصال! (أطلب لسان العرب و المنجد في مادّة «جذر»).

وإلى هذه الهفوات اللغويّة - فلا كامل إلّا الله! - عناك اضطراب في كتابة الأعلام الأجنبيّة، حبّذا لو يُستَدرَك في طبعة لاحقة، وهي لن تبطئ بإذن الله. فقد جاء تعريب Montaigne تارةً بصورة «مونتانيو» (ص ٢٣٣) وطورًا بصورة «مونتينيه» (ص ٣٧٦)، والصيغة الأولى أنسب. وكُتِب اسم Colomb, Columbus مرّةً «كولومبوس» (٣٧٧) ومرّةً أخرى «كولمبُس»، ونستسب الثانية. وفي الصفحة ٣٩٠ ورد اسم الشخص الواحد مرّتين وفي كلٍّ منها بصيغة مختلفة: «غاليله» و«غالبلو»، ففي الأولى تمّ النقل انطلاقًا من الفرنسيّة Galilée، وفي الثانية عن الإيطاليّة، ولكن مع شيء من التحريف، إذ الأصل Galileo! وفي الصفحة ٣٩٠ أيضًا ورد ذكر الشخص الواحد في صيغتين مختلفتين: كوبرنيك وكوبرنيكوس! ولعلّ هذا الشطط وليد السهو أو الإسراع.

إلّا أنّنا لن ندع الشجرة تخفي الغابة، ولا الحبّة تخفي القبّة (ص ٤٠) ولا الفرع يستر الأصل الأصيل. ويبقى كتاب روّاد طريبه إنجازًا فذًّا من إنجازات أدبائنا المعاصرين، ويجدر بكلّ مثقّف أن ينهل من «دفاتر الثقافة» هذه ليزداد ثقافةً، ويزداد تفاؤلًا بمستقبل الفكر في ديارنا، فقد هبّ على فيافينا نسيم عليل!

أ. كميل حشيمه

البارك الشابّة لڤاليري

ترجمها شعرًا وشرحها ومهّد لها رَوّاد طربيه
دار المجاني، بيروت، ١٩٩٦، ٢١١ صفحة

ليست الترجمة بالأمر اليسير. فما من ناقلٍ، مهما طال باعه، إلّا عَصَتْه بعض العبارات بما لها من خصوصيّة وفرادةٍ يستحيل نقلها بتمامها إلى لغة أُخرى. وما القول عن نقل الشعر؟ فالصعوبة هنا مضاعفة. ولئن استطاع المترجم تذليل عقبة الجمل المتقضية، واجهته شطحات خيال الاستعارات، فضلًا عن الجَرْس والإيقاع. وقد رأى كبار المترجمين الذين عالجوا الروائع الشعريّة العالميّة، أن ينقلوا الشعر شعرًا. فهكذا فعل سليمان البستانيّ في ترجمته الإلياذة، ومثله فعل قسطاكي الحمصيّ في نقل المزامير إلى العربيّة. وحذا حذوهما أحمد شوقي وسعيد عقل وأدونيس وسواهم. وحسنًا فَعِل رَوّاد طربيه إذ عَمَدَ إلى نقل رائعة الشاعر الفرنسيّ بُولْ ڤاليري، البارك الشابّة، بلغة الشعراء وأسلوبهم.

تُعْتَبر قصائد ڤاليري من أصعب الأشعار فهمًا لكثافة عباراتها وعمق مراميها. والتصدّي لترجمتها كان ضربًا من المجازفة كبيرًا، ولكنّ طربيه واجه التحدّي بمهارة وأبلى البلاء الحسن. وانطلق، كما قال في مقدّمة عمله «من ضرورة ترجمة النظم نظمًا. يقينًا منّي بأنّ شرط المبادلة هو المعادَلة. فمَن قَسَرَ نَفْسه على العروض في لغة الأصل كان من حقّه أن يتطلّب العروض في لغة النقل» (ص ٥١). ثمّ رأى أيضًا «أنّ نقل الشعر نثرًا يجب أن يكون حاشيةً للنقل (...) إنّه الشرح الذي يشبه عمليّة التشريح. فهل يصحّ التشريح إلّا في الميّت؟ (...) مَن وضع الشعر في النثر كمَن وَضَع الحيّ في القبر!» (ص ٥١).

وعليه لم يقيّد طربيه نفسه بسلاسل النثر بل حلّق في أجواء الشعر، أيّما تحليق! وساعده على ذلك اعتماده البحر الخفيف لأنّه، على حدّ قوله، «الأصلحُ لنقل الشعر الإسكندرانيّ (الذي اعتمده ڤاليري) لأنّ في كلّ شطر منه اثني عشر مقطعًا صوتيًّا كالإسكندرانيّ نفسه، ولأنّ الوصل بين الصدر والعجز قائم عضويًّا في الخفيف أكثر منه في البحور الأخرى» (ص ٥٤).

وما يزيد كتاب طربيه قيمةً وأهميّة مقدّمته المستفيضةُ المنهجيّةُ حيث عالج شؤون الترجمة عامّةً وترجمة الشعر خاصّة، ممّا يجعلها شبيهة بمقدّمة البستانيّ لترجمته الإلياذة. أضف إلى ذلك أنّ الناقل أحسن في إخراج كتابه، إذ أورد النصّ الأصليّ الفرنسيّ بخطّ يد ڤاليري إلى اليسار، والنصّ المنقول بخطّ يد الناقل إلى اليمين، فتسهل بذلك المقارنةُ ويزداد القارئ تذوّقًا. كما أنّ الحواشي الكثيرة الدسمة تواكب النصّ على مدى الصفحات فتجعل من المجموع مبنًى من المعلومات وتوفّر للمطالع المحظوظ متعةً وفائدة. ألا بارك الله بناقل البارك الشابّة، وكثّر من أمثاله.

أ. ك. ح.

أبواق اللهب

تأليف زكريّا إدريس حسين
دار النور، أوُتشي (نيجيريا)، ١٩٩٢، ٢٢ صفحة

لهذا الكتيّب أهمّيّة مزدوجة، أوّلًا، لأنّ مؤلّفه غير عربيّ، ولكنّه يتقن العربيّة أيّما إتقان. وثانيًا لما يحويه من سامي الأفكار والحِكم.

أمّا المؤلّف فهو نيجيريّ، مختصّ بتاريخ الأدب العربيّ، درّسه في جامعات بلاده، لا سيّما في جامعة إلُورن. وقد ألّف عددًا من الكتب ونشر الكثير من المقالات العلميّة في مجلّات نيجيريا وباكستان والهند وبريطانيا وإيران والسعوديّة. كما نُشرت له في المشرق (١٩٩٥، ص ١٣٩-١٥٦) مقالة بعنوان «تقويم باقة من قرائد الأدب في أمثال العرب».

وكتيّب أبواق اللهب مجموعة من الحِكَم أسماها على هذا النحو تشبّهًا بما كتبه السلف، مثل الزمخشريّ صاحب أطواق الذهب، وشرف الدين الإصفهانيّ مصنّف أطباق الذهب، وأحمد شوقي مؤلّف أسواق الذهب. والكتاب في تسعة فصول، يحتوي كلّ منها على نحو ثلاثين حكمة، بعضها غاية في العمق والبلاغة. من ذلك قوله: إرحم مَن دُونَك يرحمْك مَن فوقَك. - للأمس أتوب وللّيوم أجتهد وللغد أستعدّ. - الفخور كالرغوة على البحر المتلاطم. - مَن حَرِصَ على العاجلة تفوته الآجلة. - ولّياهم علينا وتولّوا عنّا. - الدهر يومان: يومٌ ملكته ويومٌ مَلَكَكَ. - السيفُ بشقّ والقلم يفكّ. - لا إسرافَ في الحقّ ولا حقّ في الإسراف. فللّه درُّه!

بقي أن نقول إنّ إخراج الكتيّب سقيم، جدّ سقيم.

أ. ك. ح.

العميد المبجّل

تأليف زكريّا إدريس حسين
دار النور، أوُتشي، ١٩٩٤، ٣٧ صفحة

هذا كتيّب ثانٍ أهدانا إيّاه الدكتور زكريّا حسين. وهو، على حدّ ما وصفه صاحبه، «مسرحيّة عربيّة نيجيريّة» تعالج موضوعًا مهمًّا بمسّ إلى وضع التعليم في بلاده. فبطل التمثيلية، الأستاذ آخُلي، عميد كلّيّة العلوم الإنسانيّة في جامعة كاكادُو، إنسان متشبّث بآرائه، قاسٍ جافّ الطباع، يغشّ الناس بظاهر معارفه في حين أنّه أبعد ما يكون عن العلم الصحيح. وقد ذاق مجتمعه منه الأمرّين، إلّا أنّه في النهاية ينقلب شرّ مَقلب ويُساق إلى العدالة منكّس الرأس منبوذًا.

ك. ح.

مواكب المجد

تأليف الأب لويس الهاشم
مطابع ليس ويزاين أند برنتنغ، بيروت، ١٩٩٦، ٩٦ صفحة

ما أجمل أن يسير المطالع، بل المتأمّل المتطلّع المُنْصت، في «مواكب المجد»، غارقًا في طريقه من معين الموضوعات الإنسانيّة الروحيّة التي يعالجها حضرة الأب لويس الهاشم الأنطونيّ. لقد مَنْوَن كتابَه «مواكب المجد»، وكان بوسعه أن يَسِمه أيضًا بمواكب النُّور، والجمال، والمحبّة. ولكن ما غَرَّ، فالجميع سواء، وكلّها، حتّى إن هي اقترنت بالألم، تلتقي في هدفها الأسمى، وهو الله، أو مجد الله، فالله ومجده سيّان.

كتاب الأب الهاشم عميق التأمّلات في سهولة منال، مكثّف الفكر في سلاسة عرض وعبارة، روحيّ على كونه لا يتنكف من معالجة شؤون المادّة. وإنّه في أسلوبه هذا ومنهجه يذكّرك بمؤلّفات تيّار ده شاردان. ومن هذا المنطلق يلفتك، في ما يلفت، الفصل الخاصّ بالجسد، وذاك الذي يغوص في الألم، وذيّاك الذي يهديك إلى معارج السعادة. ولكَم نحن بحاجة إلى مثل هذه الكتب الغنيّة بالفكر النيّر والشعر الحقّ.

أ. ك. حشيمه

شارل القرم
شاعر الجبل الملهم في سيرته وآثاره

تأليف الدكتور جميل جبر
منشورات المجلّة الفينيقيّة، بيروت، ١٩٩٥، ١٩٢ صفحة

من الوجوه التي طبعت التاريخ اللبنانيّ شارل القرم مؤسّس «المجلّة الفينيقيّة»، الشاعر المبدع، وقد ارتبط فكره وشعره وكتاباته ووجوده بالوطن اللبنانيّ، بوتقة نضال وعمل سياسيّ من أجل الديمومة والاستقلال.

عملُ الدكتور جبر في كتابة حياة شارل القرم كان لا بدّ منه، باللغة العربيّة، لتعريف شبيبة اليوم وأجيال الغد مَن ساهم عبر عطائه في إحياء الحركة الأدبيّة والفنّيّة في بلاده، علمًا أنّ كتاباته بالفرنسيّة تعبّر خير تعبير عن المستوى الذي وصلت إليه الفرنكوفونيّة اللبنانيّة عبر الأيّام.

يروي الدكتور جبر بصدق وعفويّة ومحبّة سيرة الشاعر، ممّا يجعل الكتاب في متناول مختلف القرّاء.

أ. س. د.

أعمال مجمع الأساقفة من أجل لبنان - ١٩٩٥

إعداد الأب أنطوان ضوّ
دار مختارات، الزلقا (لبنان)، ١٩٩٦، ٢٨٠ صفحة

يقتصر هذا الكتاب على أعمال المجمع (أو السينودُس) المذكور، في نطاقها الضيّق، أي في المدّة التي انعقد المجمع وسميًّا بالفاتيكان بين ٢٦ تشرين الثاني و١٤ كانون الأوّل ١٩٩٥. وقد أضيف إليها، زيادةً في الفائدة، مدخل «وثيقة العمل» وخلاصته. ومعلوم أنّ وثيقة العمل هي كناية عن جدول الأعمال المطروحة للدرس. ذلك بأنّ هذين القسمين يحتويان على جوهر الموضوع ويساعدان على فهم روحيّة السينودس.

هذه الأعمال مهمّة جدًّا، ويُشكر الأب أنطوان ضوّ لأنّه وضعها في متناول المؤمنين والباحثين، كاملةً مرتّبة. إلّا أنّه لا بدّ من لفت النظر إلى عدد من الثغرات حبّذا لو تُعالَج في طبعة لاحقة:

١ - إضطراب في إيراد أسماء النَلَم. فقد وردت أسماء عدد من المشاركين الشرقيّين بصيغتها المألوفة الصحيحة. فرنسيس بيسري، جبرائيل طويّا...، إلّا أنّه جاءت أسماء أحيار كثيرين بصيغة منقولة بحرفها عن الأجنبيّة: پول باسيم، پول مطر، غي پول نجيم، في حين يُعرف كلّ من هؤلاء الأساقفة في بلاده باسم بولس. وكذلك القول عن شخصيّات أخرى: المطرانان جان منصور وجان حدّاد والأبّاتي جان سليم، وجميعهم ينادَون عندنا بصيغة الاسم العربيّة. أمّا الآنسة إيما غنّاجه فقد شُوِّه اسمها وصار «غنّاج» (ص ٧، ٣١، ١٨٦).

٢ - لم نجد أثرًا، لا في متن الكتاب ولا في فهرسه، لمحاضر لقاءات العمل المصغَّرة في دورتها الثانية، إذ قد ذُكرت الدورة الأولى (ص ١٥١) والدورات الثالثة وما يليها (بدءًا من ص ١٩٩) من دون أيّ ذكر للثانية.

٣ - لم نفهم معنى عبارة «المجمع العامّ الأوّل» في عنوان الفصل الممتدّ من الصفحة ٥٥ إلى الصفحة ٧٢. فالكلمة غير دقيقة، إذ المدلول هنا، على ما يبدو، اجتماع من نوع خاصّ، غير «الجمعيّة العامّة». واستعمال كلمة «أوّل» تشير إلى أنّ هناك «مجمعًا عامًّا ثانيًا»، إن لم يكن أكثر، ولكنّنا لم نجد أثرًا لشيء من هذا النوع.

٤ - كذلك لم نعثر على ذكر «الجمعيّة العامّة الأولى (القسم الثاني)» في حين ذُكِر القسم الثالث منها.

٥ - الأغلاط الطباعيّة كثيرة جدًّا، وفي الترجمة كثير من الاضطراب. ومردّ الأمر، بدون شكّ، إلى الاستعجال في إعداد تلك النصوص لتكون بين أيدي القرّاء في أسرع وقت، وفي ذلك عذر أكيد.

ك. ح.

الحياة الرهبانيّة النسائيّة في الشرق الأوسط
هويّة ورسالة

أعمال المؤتمر الذي انعقد في كفرحباب - جونيه (لبنان)
بين ٢١ و٢٣ نيسان ١٩٩٥
نظّمه مجلس الرئيسات العامّات للرهبانيّات النسائيّة في لبنان
بيروت، ١٩٩٥، ١٧٢ صفحة بالعربيّة و١١٦ بالفرنسيّة

هذا كتاب مرجع، شاملٌ وافٍ، ألّف نصوصه أصحاب علم وخبرة من رجال دين وباحثين وراهبات في مراكز المسؤوليّة. وتأتي أهمّيّته، في ما تأتي، من كونه يجمع أعمال مؤتمر تزامَنَ مع حدثَيْن كنسيَّيْن بالغَي الخطورة، عنى المجمع الخاصّ بالحياة المكرّسة الذي عُقِد في روما في خريف العام ١٩٩٤، والمجمع الخاصّ بلبنان الذي التأم في روما أيضًا في آخر العام ١٩٩٥.

يُقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء: أوّلها يربط هذا المؤتمر بواقعه في إطار السينودسَيْن المذكورَيْن أعلاه. والثاني يصف الحياة الرهبانيّة النسائيّة في الشرق (مصر، العراق، الأردنّ، الأراضي المقدّسة، سورية، لبنان). أمّا الثالث فيركّز على الحياة الرهبانيّة باعتبارها حياة علاقة بالآخرين، في حين ينصرف الجزء الرابع إلى معالجة عمل الراهبات في الكنيسة من أجل العالم. وفي الختام مداخلتان أساسيّتان، أولاهما للأخت أنطوانيت باميل، الرئيسة العامّة على راهبات القلبين الأقدسين، ترسم فيها «ملامح راهبة الألف الثالث»، والثانية للأخت دومينيك حليّ، الرئيسة العامّة السابقة على الراهبات الأنطونيّات، تبرز فيها خلاصة المؤتمر وما صدر عنه من توصيات.

بقي أن نشير في النهاية إلى ما شاب هذا المؤلَّف المهمّ من أخطاء كثيرة في نقل الأعلام والعناوين الأجنبيّة في القسم العربيّ (أطلب الصفحات: ٦٨، ٦٩، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٤٠). فعسى أن يُستدرك هذا الخلل في طبعة لاحقة.

أ. ك. ح.

قلب رسالة عيسى، أو ملكوت المحبّة

تأليف عفيف عسيران
مطبعة الفريد، بيروت، ١٩٩٦ (؟)، ٤٠ صفحة

الكتيّب هذا هو خير صورة لكاتبه المرحوم الأب عفيف عسيران (١٩١٩-١٩٨٨)، يعكس شخصيّته وروحانيّته. فقد عاش، طيّب الله ثراه، يعمل لإحلال ملكوت المحبّة، وكرّس حياته لخدمة المشرّدين بعد أن زهد بالدنيا، هو الشريف الحسب والنسب، خرّيج جامعات إيران وأوروبّا ولبنان.

يطرح عفيف عسيران في كرّاسه السؤال التالي: كيف يمكن أن يُحدث موت إنسانٍ

فداة البشر أجمعين، بمَن فيهم الخطأة، على ما تعلّمه المسيحيّة؟ ويجيب متدرّجًا في تفكيره: حياة الإنسان هي في بذل ذاته، وموتُه في الانكماش على تلك الذات. وبذل الذات الحقّ لا يكون إلّا بالمحبّة، والمحبّة الحقّ لا يمكن أن تقتصر على الأحبّاء، بل تكتمل في حبّ الأعداء كما فعل المسيح بالفعل والقول. وإذ تخلّى عيسى عن ذاته كاملةً، أمات «الأنانيّة» وعلّمنا أن نميت الخطيئة فينا، وبذلك حقّق لنا أسباب الفداء. ومن هذا المنطلق ركّز عيران على أنّ كلّ سعي في سبيل الله، وكلّ جهاد لوجهه تعالى ولوجه الخير، يتنافى كلّيًا وبغضّ أعداء الله. «فمقابلة الرذيلة بالرذيلة يزيدها» (ص ٣٠) و«خير مقاومة للشرّ هي في محبّة الشرّير، لا الشرّ طبعًا (ص ٣١).

كتيّب عفيف عيران هذا أشبه بقمقم العطر الثمين: فحجمه صغير ولكنّ أريجه فوّاح.

ك. حشيمه

١ – رؤيا القدّيس يوحنّا

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «دراسات بيبليّة»، رقم ١١، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٥، ٤٦٢ صفحة

٢ – إنجيل مرقس

الجزء الثاني: يسوع ابن الله

للمؤلّف نفسه

سلسلة «دراسات بيبليّة»، رقم ١٢، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٦، ٦٤٠ صفحة

بهذين الكتابين الجديدين قطعت سلسلة «الدراسات البيبليّة» شوطًا بعيدًا في وقت قصير. فمنذ صدور أوّل مصنّفاتها، العامَ ١٩٩١، تاهز عدد المجموعة الاثني عشر. ومؤلّف جميع هذه الكتب الضخمة واحد لا ثاني له، ممّا يستدعي الإكبار والتقدير، لا سيّما أنّ ما يقدّمه الخوري بولس الفغالي هو دسم المادّة على سهولة ووضوح في الأسلوب، يفتح للقارئ آفاقًا علميّة واسعة ويوفّر له زوّادة روحيّة مُستساغَة.

الكتاب الأوّل بالغ الأهمّيّة، خاصّةً لندرة أمثاله بالعربيّة، ويتميّز بقسمه الأوّل الحاوي «مداخل إلى سفر الرؤيا» تبيّن تكوينه وبنيته، وتضعه في سياق الرؤى اليهوديّة في العهدين القديم والجديد. أمّا قسماه الثاني والثالث فيتبّعان الإصحاحات بالترتيب والتفصيل، مع وفرة في الشرح والتأويل.

أمّا الكتاب الثاني فمنهجه قريب جدًّا من منهج الأوّل، وميزته، إلى ذلك، أنّه يعالج الشقّ الثاني من إنجيل مرقس، بدءًا من الفصل ٨، الآية ٢٧ فيُظهر بعد تحليل بنيويّ أنّ القمّة التي وصل إليها مرقس في ٨/٢ حين أعلن بطرس ليسوع: «أنت المسيح»، يقابلها

قمّة أخرى في أواخر بشارة مرقس حين هتف قائد المائة أمام المصلوب أنّ يسوع هو حقًّا ابن الله.

أ. ك. ح.

كتب أُهديت مؤخّرًا إلى المجلّة

○ قانا الجليل في جنوب لبنان، بقلم الدكتور يوسف الحوراني، لا م.، لا ت.، ٢٤ ص. - كتيّب موثّق أورد فيه المؤلّف كلّ ما تيسّر له من براهين ليثبت أنّ قانا الجليل هي الموجودة في لبنان قرب صور، لا التي في فلسطين قرب الناصرة. ولكنّ علماء سواه لا يشاطرونه الرأي.

○ المسيحيّون في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، إعداد «المستشاريّة الثقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في لبنان»، بيروت، لا ت.، ٧٦ ص. - يعلن أصحاب الكتاب أنّهم لم يسعوا في عملهم هذا إلى الدعاية، بقدر ما استلهموا القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة اللذين يحضّان على احترام الرسالات السماويّة. وأتباع المسيحيّة في إيران هم حاليًّا نحو (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف، معظمهم من الأرمن والأشوريّين.

○ أجل... نحن الزمن، تأليف المطران نارطان أشكاويان، ترجمة جولي مراد، بيروت، ١٩٩٦، ٨٠ ص، تجليد فنّيّ. - مجموعة موضوعات عولجت في مناسبات مختلفة، وممّا تناولته: الأمّ، السعادة، المعلّم والتلميذ، صلب المسيح، الزمن...

○ البطريرك إسطفان الدويهي. رُفِعَتْ على مذابح قلوبنا، تأليف الأب سمير عقيقي، كزمسّدّه (لبنان)، ١٩٩٦، ٣٢ ص. - هو الكرّاس الثاني والعشرون في سلسلة الكتيّبات التي تنشرها «رابطة البطريرك إسطفان الدويهي الثقافيّة» في زغرتا - إهدن، سعيًا للتعريف بالبطريرك العلّامة القدّيس. ملاحظة أخويّة نسوقها إلى ناشري الكتاب: لا يجوز، اليوم، حيث الروح المسكونيّة سائدة، أن نتكلّم على «ارتداد اليعاقبة وعودتهم إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكيّة» (ص ١١-١٢)، بل نقول «اتّحاد الكنيستين السريانيّة الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة».

○ آل المرّاش والصالونات الأدبيّة في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تأليف أنطوان شمراوي، عدد خاصّ من مجلّة الضاد، حلب، ١٩٩٦، ٦٦ص. - لوحة حيّة شائقة، يتخلّلها طرائف ونوادر عن أسرة حلبيّة اشتهرت بأدبائها وساهمت مع أسر أخرى في جعل الشهباء إحدى عيون النهضة العربيّة المعاصرة.

○ حدّثني جنك، بقلم تمارا مراد، منشورات نوفل، بيروت، ١٩٩٥، ٦٢ص، تجليد فنّيّ. - قيل لنا إنّ الكاتبة فتاة في مقتبل العمر، وهذا ما يتجلّى من خلال «قصائدها» الثريّة الستّ عشرة (بعدد سنيها؟). ولكنّ الفتاة موهوبة جدًّا، وسطورها تتفتّق رقّةً في

براءة، وعفويّة في عمق، بضيئها مرّات ومرّات وميض خيال مرهف. يتصدّر الصفحات الأنيقة الإخراج قول العلّامة الشيخ عبدالله العلايلي ممتدحًا: «جبران ولد ثانيةً ليكون أكثر رقّة». ونقول: يكفي تمارا مراد فخرًا أنها ولدت وشَعَرت.

○ فكّر معي، تأليف يوحنّا قمير، منشورات نوفل، بيروت، ١٩٩٦، ١٦٠ص. - الكاتب هنا شيخ جليل، حركه الأيّام واتّسعت خبراته وآفاقه الثقافيّة. والإبحار معه في محيطات الفكر يغني بالنفيس، ويُسعد بالجميل، ويمتّع بالأسلوب المنحوت المصقول. وفي المؤلّف يصحّ قول هيدغر الذي تصدّر الكتاب، فأهمّ صفاته «صرامة في التفكير، ودقّة في التعبير، واقتصاد في الكلام».

○ إنجيل يوحنّا. الجزء الثاني: كتاب الآلام والمجد، للخوري بولس الفغالي، سلسلة «القراءة الربّيّة»، رقم ٦، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٥، ١٧٦ص. - تفاسير مكثّفة مبسّطة للقسم الثاني من إنجيل يوحنّا بدءًا من الفصل ١٣ وحتّى الفصل ٢٠: ٢٠.

○ الإنجيل وقدرة الله. الرسالة إلى الرومانيّين، للأب بولس الفغالي، سلسلة «محطّات كتابيّة»، رقم ١، منشورات الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٥، ١٨١ص. - طليعة مجموعة دراسات كتابيّة رابعة يصدرها الأب الفغالي، وهي، بحسب قوله، تتوجّه إلى المثقّفين على هيئة «دراسات حول موضوع واحد، فتحاول أن تتعمّق فيه لا على مستوى العهد القديم والجديد فحسب، بل على مستوى الشرق القديم كلّه».